آفاق التنمية والبناء

المناسبة: لقاء قائد الثورة الإسلامية مع رئيس الجمهورية ومسؤولي البلاد

الحضور: رئيس الجمهورية وأعضاء الحكومة ومسؤولي البلاد

الزمان والمكان: 7 / 6 / 1424 هـ ـ طهران

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا أبي القاسم المصطفى محمد وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين لاسيّما بقية الله في الأرضين.

أرحّب ـ أولاً ـ بكافة الأخوة والأخوات الأعزاء متمنّياً أن تكون هذه الجلسة ذات بركة وفيض بالنسبة لنا جميعاً؛ وأتقدّم بالشكر ـ ثانياً ـ للسيد رئيس الجمهورية[1] على كلمته المستفيضة, فلقد كانت كلمة رائعة جداً لاسيّما جانبها المتعلق بالمجتمع الأخلاقي والمعنوي, فكان فيها الفكر والإيمان والحرص والرؤية الثاقبة والفطنة.

أورد هنا آية كريمة؛ كي يزدان مستهل حديثنا بكلام الله: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾[2]، كما أتلو آية أخرى سأتحدث عنها قليلاً في نهاية حديثي: ﴿إن الذين تولّوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم﴾[3].

شحذ الهمم للوصول إلى الأهداف العليا

إنّ بلوغ الأهداف العليا للنظام الإسلامي يستدعي همّة عالية بنفس علو تلك الأهداف، وأقداماً ثابتة؛ كي تستطيع قطع هذه المسيرة الشاقّة حتى بلوغ القمم؛ وهذا مما يتعذّر إلاّ بالاتّصال بمصدر القدرة، فإنكم حيثما تشاهدون على مرّ التاريخ حاكمية للعدل والدين والمعنويات والأخلاق لابدّ وأن تجدوا في محورها ومركزها قلباً واعياً،

---

[1] السيد محمد خاتمي.

[2] سورة القصص، الآية: 83.

[3] سورة آل عمران، الآية: 155.

وبين مكوّناتها أفئدة متوجّهة إلى الله ومتضرّعة له، وهكذا كان الحال في صدر الإسلام، وهكذا كان الحال على مرّ الدهور السالفة, حيثما برزت مثل هذه الظاهرة ــ وإن كانت نادرة ــ وفي عصرنا هذا رفرفت هذه الراية على يد إنسان شهد الجميع عياناً على قلبه الذاكر وروحه الخاضعة الخاشعة أمام الله سبحانه وتعالى وعاينوا آثاره، فعلينا أن نزداد سيراً وميلاً بهذا الاتجاه، ونرى أنفسنا بحاجة إلى العون الإلهي، فنستشعر هذا, وأن لا نعتمد بشكل مستقل وذاتي على قدرتنا, وما نتصوّره أنه من قدرتنا. فلنستمد العون من الله ونعتبر أنفسنا محتاجين إليه، ولا نقول مثلما قال قارون وبعض الأقوام السالفة ــ هذا ما ينقله القرآن في موضعين:﴿ إنما أوتيته على علم عندي﴾[4] أي أنني حصلت على هذا بما لديّ من جهد وإبداع، فهذا خطأ، فلنطلب العون من الله على الدوام ونرى الطريق مفتوحاً إليه، وأنّ الطريق لمفتوح إليه بالنسبة إلينا جميعاً "وأنّ الراحل إليك قريب المسافة وإنك لا تحتجب عن خلقك إلاّ أن تحجبهم الآمال دونك"[5] ، فعندما نقبل على الله بقلوب طاهرة ونيّات خالصة ستفتح أمامنا أبواب الرحمة الإلهية ويشملنا الفيض الإلهي، فلنعلم بذلك, وإيّانا والتقصير.

وعلينا أيضاً أن لا نتصوّر بأننا من أهل القرب عند الله, وأن لا نغترّ بالقرابة الوهمية من الله، فمن الأمور التي جاءنا التحذير منها في الأدعية هو " الاغترار بالله"، فلا نقول: بما أننا عباد صالحون لله فإن الغضب الإلهي إذ انزل سوف لا يشملنا.

كلا, فهذا خطأ، إذ لا قرابة لله مع أي شخص أو قوم أو أمة؛ بل إنّ أعمالهم ونيّاتهم وصدقهم ومثابرتهم هي التي تترك تأثيرها وتستجلب الرحمة الإلهية.

وإيّانا ــ أيضاً ــ أن نغفل عن الله؛ كي نستأثر بنظرة من فراعنة العالم وطواغيت العصر، فهذا شرط آخر، وإذا ما تحققت هذه الأمور نكون قد ارتبطنا بمنهل القدرة الإلهية الأزلية.

التواضع ورفض التسلط والاستعلاء على الآخرين

وهناك ميزة أخرى نختصّ بها أنا وأنتم وهي: أننا ونظراً لما نتمتع به من مسؤوليات فإننا نمتلك سعة من القدرة سواءً صغرت أم كبرت, فلا نسعى وراء العلو

---

[4] سورة القصص، الآية: 78.

[5] المصباح للكفعمي, ص: 590.

والتسلّط وحب الاستعلاء على الناس، وهذا هو مضمون الآية التي تلوتها " تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً " ، وهذا أمر صعب لكنه ممكن وضروري، فحب التسلّط آفة طالما هددت ذوي القدرة في العالم وأزلّت الكثيرين ونحن لسنا بأقوى منهم, فعلينا الحذر والتحسّب؛ لئلا ننزلق، وقد ورد عن أمير المؤمنين " عليه الصلاة والسلام" قوله:" نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة وأهل السلطة من الناس" فهذه الآية بالأساس لأصحاب القدرة والولاة والمسؤولين بدءاً من كبار المسؤولين ومروراً بالدوائر الوسطى وانتهاءاً بأي نقطة فيها مدىً من السلطة، فآفة عملنا هي أن نستغل دائرة قدرتنا للتسلّط والغطرسة والأطماع، وفي ذلك خطر جسيم، وتقول الآية في النهاية : "والعاقبة للمتقين" ، وقد قال البعض: إنّ هذه "العاقبة" هي الآخرة، فيما احتمل آخرون أنها تشمل الدنيا أيضاً، ونحن نراها كذلك، فالعاقبة هي من نصيب المتقين، إذ إنّ العاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة هي من نصيب أهل التقوى والورع.

ما أفهمه إجمالاً بالنسبة لعملنا ــ حيث ابتلينا بالمسؤولية ــ هو أن نجعل للآخرة تأثيراً في كافة ما نتخذه من قرارات وخطوات ونجعل لها دوراً؛ فالبعض يجعل دوراً لما يقوله الناس ولرقابتهم لكنه لا يرى دوراً للرقابة الإلهية وما سينطوي عليه مستقبلنا.

إننا على شفا الوجود والعدم في أيِّ سنٍّ كنّا، وإن ازداد احتمال ذلك بالنسبة لمن هو طاعن بالسن مثلنا، لكن الشباب على هذا المنوال أيضاً، فعلى الطرف الآخر من الموت ثمة محاسبة ومؤاخذة إلهية وحسابات دقيقة فعلينا الحذر، إذ إنّ الحياة والخلود والمصير الحقيقي هناك، فلنجعل له دوراً، ونحن إذ حللنا أياماً معدودات علينا أن نعمر ذلك المستقر, بأن نجعل للآخرة ورضا الله والحساب الأخروي دوراً وتأثيراً في ما ننطق به وما نمضيه والمشورة التي نبديها وما نتخذ من قرار، وما نقوم به من عزل وتنصيب؛ وهذا مهم في اعتقادي, وإذا ما تحقق ذلك ستكون السلطة خيراً, إذ إنّ البعض يتصوّر أنّ السلطة بذاتها شرّ، في حين أنّ الأمر ليس كذلك، فالسلطة والثروة كسائر مواهب الحياة تعتبر زينة الحياة " زينة الحياة الدنيا" فكيف نستخدم هذه السلطة، إذا أحسنّا استخدامها فهي خير، وإذا وضعناها لخدمة الناس فهي خير، وإذا ما وظّفناها لإشاعة الأخلاق والمعنويات وصلاح الناس وفلاحهم فهي خير، ولكن إذا ما كرّسناها

لخدمة الأطماع الشخصية والأهواء النفسية واستخدمناها ضد هذا وذاك كما تستخدمها الحيوانات المفترسة فإنها تتحوّل شرّاً ويشتدّ شرّها كلما ازدادت تفاقماً.

يا أعزائي! لو استطعنا أنا وأنتم ــ في المواقع التي نتبوّأها ــ أن نسوق نيّاتنا بهذا الاتجاه سنكون قد حققنا مكسباً عظيماً, وسيكون تحمّل المسؤولية ــ في مثل هذا النظام والبلاد ومن أجل مثل هذا الشعب، وفي مثل هذا العالم الذي يضجّ بالضلال والفتن ــ فخراً كبيراً، ورد في الصحيفة السجادية:" واجعل لنا من صالح الأعمال عملاً نستبطئ به المصير إليك"[6].

إنكم ترون الأبناء الذين أحسنوا الاستعداد ليلة الامتحان يستعجلون حلول وقت الامتحان, أما الذي يجهل درسه ولم يستعد فهو يرهب الامتحان ويتمنّى المزيد من التأخير، فعندما يقوم الإنسان بعمل حسن كبير فهو يشعر بالتأخير؛ بغية الوصول إلى الله "نستبطئ به المصير" فيرى أنه قد تأخر ويتمنّى الإسراع ببلوغ اللقاء مع الله؛ لأنه يعلم بأن عمل الخير والبرّ هذا ينتظره هناك " ونحرص على وشك اللحاق بك" ، فنحن نتمنّى الوصول إليه بسرعة.

في مثل هذه الحالة تحصل لدى الإنسان حالة من الأمن النفسي في مواجهة حوادث الدنيا وفي مواجهة الموت، فالموت مهول بالنسبة لجميع الناس، بَيْدَ أنّ الإنسان إذا ما حصلت لديه مثل هذه الحالة فهو يحصل على أمان نفسي إزاء الموت؛ فلم يعد يشعر بالخوف والرهبة من الموت؛ لعلمه بأنه يمتلك مثل هذه الذخيرة المهمة على الجانب الآخر، فإذا ما استطعنا أنا وأنتم من القيام بهذه النيّة الخيّرة فإنها أسمى كثيراً من العبادات والأعمال الشخصية.

دائرة المسؤولية

لقد دوّنتُ عدة محاور؛ كي أتحدّث عنها.

أحدها: إن نعرف دائرة مسؤولينا ونعرف قدرها.

إنّ بلدنا الكبير وشعبنا العظيم ــ بالإضافة إلى ما يمتلك من أبعاد تاريخية وثقافية وتراث نفيس جداً ــ فهو صانع للمفاخر والقيم، ونحن اليوم نعمل ونجهد من أجل هكذا

---

[6] الصحيفة السجادية الدعاء(40).

شعب وبلاد، واليوم فإن النظام الإسلامي الفتي الكفوء بأيديكم، والنظام الذي لم يستطع تقادم الزمن أن يصيب مرتكزاته الأصولية والقيمية بالقِدَم والتهرّؤ، فهو لَمّا يزل يافعاً حيوياً غضّاً، فلنشعر بالفخر لتحمّل المسؤولية في هذا النظام.

إنّ بعض الخصائص المتميّزة تتمثّل في الخصائص الطبيعية لبلادنا، وإنني أرجو من المسؤولين الذين يمتلكون معلومات وأرقاماً جيدة عن المواهب الإلهية الطبيعية في البلاد وحدّثونا بها، أن يضعوها في متناول الرأي العام لاسيّما المسؤولين، بدلاً من يقرأوا آيات اليأس, ويصوّروا كل جهد بأنه فاشل، وأن يبيّنوا للجماهير الإمكانيات والقدرات والثروات القيّمة الكامنة في هذا البلد العظيم.

إننا نمتلك (1%) من مجموع سكان العالم, وأرضنا تمثّل (1%) من اليابسة في العالم، غير أنّ حصّتنا من الثروات الطبيعية تفوق بكثير معدل الـ (1%)؛ فاحتياطنا من النفط مرموق ونحن في عداد البضع دول الأولى في العالم، ونمتلك ثاني احتياط من الغاز في العالم.

وهو أكثر بكثير من نسبتنا (1%)، وفي بلادنا نسبة (2%) من الحديد في العالم، وهي ضعف نسبتنا، ومعدن النحاس لدينا يحتل نسبة (5% من النحاس في العالم، أي خمسة أضعاف نسبتنا، ويشكّل معدن الرصاص لدينا (3.5%) من الناتج العالمي بما يمثّل عدة أضعاف نسبتنا الطبيعية، فيما تفتقد ذلك الكثير من الدول.

وقد صرّح المتخصّصون والخبراء بهذا العمل ــ وهو في غاية الظرافة ــ أنّ معادن الرصاص والنحاس تسمّى معادن أساسية إذا ما امتلكها أي بلد يتّضح أنه يمتلك أغلب المعادن المهمة الأخرى، ولربما نمتلك معادن أخرى لم تكتشف بعد, وهي تدل ــ إلى حد بعيد ــ على وجود تلك المعادن.

ومن بين 24 نوعاً من الفلزات هنالك "12" نوعا موجوداً في إيران لم تُكتشف لحد الآن، ولعلها أكثر من ذلك إن اكتشفت فيما بعد، وهنالك "36" من غير الفلزات موجودة في إيران من بين"50" نوعاً مكتشفاً في العالم، أي ثمة تنوّع في المعادن الفلزية وغير الفلزية، وهذه إمكانيات طبيعية نفيسة يمتلكها بلدنا ، كما أنّ التنوّع الإقليمي والمائي والمناخي في البلاد يمثّل بحد ذاته ثروة كبرى ، والبحار في الجنوب والشمال من الثروات الثمينة جداً، والموقع الجغرافي المهم في الربط بين شرق العالم وغربه يعدّ من المواقع المهمة من الناحية التجارية والكثير من الفعاليات الأخرى، وشعبنا الشاب

المفعم بالمواهب ثروة أخرى، وإنه لمدعاة أسف أن لا يذكر البعض كثرة الشباب في بلادنا بوصفها نعمة, في حين أنها أعظم ثروة؛ فهذا الكَم من الشباب التوّاق للعمل والنشاط شيء في غاية الأهمية.

الانجازات العظيمة للثورة الإسلامية

إنّ كافة الإمكانيات ــ التي أشرت إلى جانب صغير منها ــ كانت على مدى قرون متمادية بأيدي السلاطين المستبدّين والحكام الدكتاتوريين الذين حكموا هذه البلاد، فانظروا إلى سيرة حياة هؤلاء الملوك ــ وبالطبع فإن النصوص التي بين أيدينا هي ذكريات وأخبار العهدين القاجاري والبهلوي ــ فلقد كانوا يعتبرون البلد ملكاً لهم، وكأنه ملكاً شخصياً فيه مجموعة من العاملين الذين لابدّ لهم بالنتيجة من أن يأكلوا ويعيشوا فيه، وعليه لم يكن للشعب أي دور، ولم يكن أولئك الملوك الحكام يولون أهمية لمصير البلاد وتطورها العلمي، وقد مضت سنوات متمادية على هذا المنوال دون أن يستثمر بلدنا هذه الإمكانيات، أما في عهد الثورة فقد تحقق تطور استثنائي وباهر, وإنّ ما قاله السيد رئيس الجمهورية في غاية الصواب، وإنّ الأمور التي يجري التصريح بها تمثّل جانب من هذه النجاحات .

لقد استلمت الثورة والنظام الإسلامي بلداً تبلغ نسبة الأميّة فيه بضعاً وسبعين بالمئة، لكننا اليوم تحوّلنا إلى بلد ارتفعت نسبة القراءة والكتابة فيه إلى مستوى عال جداً, ولا أريد تحديد نسبته المئوية؛ لأنني لا أريد أن ترتفع أو تنخفض نسبته درجة أو درجتين، غير أنّ نسبته معروفة.

وقد قام بلدنا بعمل إعجازي في مجال التوسّع الجامعي والطلابي, فنحن نمتلك اليوم من الطلاب ما يفوق عشرة أضعاف ما كان عليه عند قيام النظام الإسلامي, ولدينا جامعات في كافة أرجاء البلاد، فأي مدينة صغيرة كانت أم كبيرة في أكناف البلاد ليس فيها أقل من جامعة أو جامعتان أو أكثر, فيما شهد الميدان التقني ــ البتروكيماويات النفط ــ الحديد، الإنتاج والتصنيع الدفاعي تطوراً مذهلاً، فالصناعات الدفاعية التي يتمّ إنتاجها اليوم في البلاد لم يكن تصوّرها يوماً في عالم الرؤيا بأن يتمكّن بلدنا من امتلاك منتجاتها، غير أنها اليوم تنتج هنا، وعلى صعيد التقنيات العالية التي يفتخر بذكرها عالمياً، اضطروا ــ رغم عدائهم ــ للقول: بأن إيران من ضمن الدول العشر

التي استطاعت إنتاج الوقود الذرّي ــ وهذا ليس بالأمر الهيّن، وعندما يتحقق مثل هذا التطور فمن الطبيعي أن يثيروا هذا الضجيج بأن هؤلاء يريدون أن يفعلوا كذا وكذا ويريدون أن يصنعوا القنبلة النووية. لقد تحقق هذا التطور الهام بفضل النظام الإسلامي.

لدى زيارتي لأي من الجامعات المهمة والكبرى أحياناً، أو التي أمتلك معلومات عنها عن بعد, أو أقصدها عن قرب، أرى أنّ نشاطاتهم التحقيقية مثار تقدير، في حين أنّ مشاكل الحكومة على مدى السنوات الماضية قليلاً ما تسمح بأن تكون ميزانية التحقيقات كما يجب وينبغي.

وكان لنا تقدّم باهر في المجالات الطبيّة وكذلك البنى التحتية للبلاد ــ إقامة السدود، وأرصفة النفط ــ وسائر المجالات، وقد تحقق ذلك في الحقيقة بفضل الله وفي ظل الاستقلال والاستغناء, حيث كانت كافة الأبواب الرئيسة في العالم أمامنا موصدة، ولعل ذلك كان نعمة بالنسبة إلينا ﴿عسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾[7] .

فلعلنا نضجر كثيراً في بعض الأحيان، إذا ما أوصدت أبواب الدنيا أمامنا، لكن هذا يدفع بنا لأن نعود لأنفسنا ونستثمر مواهبنا فتتنامى هذه المواهب والبراعم والاختصاصات الذاتية والدوافع الداخلية، ونحن قد استفدنا من علوم الدنيا ما استطعنا؛ لأن العلم في العالم للبشرية جمعاء، كما أنّ علمنا بدوره يعود للناس جميعاً؛ فلقد أسدى العالم الإسلامي الخدمة يوماً للعالم بأسره، ونحن اليوم بدورنا نستثمر العلم العالمي.

في عهد الثورة عانينا الحصار والحرب وشتّى المشاكل والعراقيل, لكن هذه النجاحات تحققت بفضل الله في ظل النظام الإسلامي وهي من مفاخره.

والى جانب ذلك كله تأتي حاكمية الشعب الدينية كواحدة من أهم الإنجازات، فحاكمية الشعب المنبثقة عن الإسلام مصدر فخر للمسلمين، وإنّ هذا البلد لم يتذوّق طعم ظهور وتجسيد الإرادة الشعبية على مدى تاريخه سوى في غضون فترة وجيزة من الزمان لدى حركة تأميم النفط, بالرغم من كل القيود, حيث إنّ قصة ذلك معروفة, إذ كانت الفترة قصيرة جداً ولم يطيقوها، فبادروا لضربها وتدميرها ولم تستطع الحفاظ على نفسها، وقد استطعنا أن نشاهد حاكمية الشعب، مشاركة الشعب في الانتخابات،

---

[7] سورة النساء, الآية: 19.

في انتخاب رئيس الجمهورية وانتخاب نواب المجلس والمشاركة في الميادين السياسية واتخاذ القرار في البلاد، وهذا إبداع النظام الإسلامي.

خدمة النظام الإسلامي فخر واعتزاز

أيها الأعزاء! إننا نخدم في مثل هذا النظام فلنعتز بهذه الخدمة، وانقلوا هذا الفخر إلى شبابكم واجعلوا شبابكم يشعر بالفخر؛ لأنه يحيا في إيران الإسلام.

فالعدو يريد عكس ذلك, فهو يسعى لأن يقدّم ما من شأنه أن يشعر الشباب منّا وغير الشباب بالإحباط, فهو يهول نقاط الضعف التي نعانيها ــ فمن المسلّم به أننا لا نخلو من نقاط الضعف وإنّ كافة الشعوب والبلدان تعاني نقاط ضعف ــ ويروّج لها ويرددها مراراً، فهو يكرر كذبة واحدة إلى الحد الذي يصدق المسؤولون أنفسهم رويداً رويداً وهم يعلمون بكذبه.

وهكذا يعمل العدو؛ كي يسلب منّا الشعور بالفخر، فاعملوا بما يعاكسه، واعملوا على إشاعة الشعور بالفخر داخل أنفسكم, ولدى شبابكم ولدى هذا الجيل الناشئ المكلل بالزهو، فهذه هي إمكانياتنا والحمد لله.

إننا نواجه تحدّيات ومصاعب أيضاً، وهذا محور أريد التحدّث عنه، فالتحدّيات والمصاعب ليست واحدة أو اثنين, بل هي كثيرة؛ لكنني أرى أهمها أمران:

أحدهما: تشكيل جبهة متّحدة ضدنا، وحلفاء هذه الجبهة عبارة عن أمريكا والصهيونية، وينبغي عدم التصوّر بأن هناك تحالفاً عالمياً مناهضاً للجمهورية الإسلامية، كلا, فتلك الجبهة المتحالفة المتمركزة ضد النظام الإسلامي وتعمل بكل قواها تضمّ عضوين الأول الولايات المتحدة الأمريكية, والآخر الكيان الصهيوني وحماته من الصهاينة في العالم, وقدرة هؤلاء وثروتهم ونفوذهم في العالم ليس بالقليل، وإنّ السبب في عدائهم واضح أيضاً، فلقد كانت إيران يوماً ما موطئ قدم الأمريكان وكانوا يفعلون ما يحلو لهم في هذا البلد، وكان بأيديهم عصب الشؤون الاقتصادية والثقافية، وبأيديهم عملية العزل والتنصيب للمناصب المهمة والمؤثرة، وفي الحقيقة كانت الحكومة بأيديهم فيأخذون ويأكلون ويستغفلون، لكنهم فقدوا ذلك في الوقت الحاضر.

الثورة الإسلامية وإحياء روح التحرر من المستكبرين

بالإضافة إلى ذلك ــ ولعله الأهم من هذا التحدّي ــ هو أنّ الحركة العملاقة للشعب الإيراني أصبحت مبعث عزيمة للعالم الإسلامي، فالصحوة الإسلامية اليوم عمّت العالم الإسلامي من شرقه, على الأقل من باكستان حتى شمال أفريقيا، فالشعوب تنشد الإسلام وقد جاهرت بذلك، وهذا خطر جسيم بالنسبة لأمريكا، وإنهم ليصرّحون: بأن مصالحنا تتعرّض للخطر, وهم صادقون إذ إنّ مصالحهم تتعرض للتهديد, غاية الأمر أنها مصالح غير مشروعة.

نعم, إنّ مصالحهم غير المشروعة والظالمة تهددها حركة الصحوة الإسلامية، وإنهم جادوّن في مناوأتهم للنظام الإسلامي، وكذا حال الصهاينة، فالصهاينة يشعرون أنّ روحاً ونفساً جديداً أخذت تدبّ في مقاومة الشعب الفلسطيني بقيام النظام الإسلامي، وهم يتّهمون الجمهورية الإسلامية بمساعدة الشعب الفلسطيني بالسلاح، وكل ذلك كذب فالشعب الفلسطيني هو الذي نهض، ولا شك ــ بالطبع ــ أنهم تأثروا بالحركة الإسلامية.

بناءً على هذا فإن الصهاينة يخالفون ويناهضون هذه النقطة المحورية بشدة.

لقد كانت هذه التحرّكات بصورة مختلفة منذ بداية انتصار الثورة، وكلكم تتذكّرون أنها بدأت من التحرّكات التي جرت في السفارة الأمريكية للقيام بعمليات الإطاحة ــ ومن بين مظاهرها كان مخطط التمهيد للانقلاب في قاعدة الشهيد (نوژه)، حيث نشر الشباب المتمركزون في السفارة في تلك الأيام ما يقرب من مئة كتاب من تلك الوثائق المهمة في زماننا, غير أنهم لا يسمحون بالحديث عن هذه الوثائق ــ ومروراً بالهجوم على طبس وحتى تحريض العراق على الحرب والمساعدات التي تلقّاها، ومن ثم مهاجمة طائرتنا المدنية، ومهاجمة أرصفتنا النفطية, ومحاصرتنا اقتصادياً لعدّة مراحل وهذا ما أضفوا عليه الطابع الرسمي خلال منتصف عقد التسعينيات عبر ما عرف بقانون داماتو[8].

---

[8] وقع الرئيس الأمريكي السابق، بيل كلينتون، يوم 5 أغسطس (آب) عام 1995على القانون المسمى قانون «داماتو»، نسبة إلى السناتور الجمهوري، الفوتسي داماتو، من ولاية نيويورك، الذي تبنى مشروع هذا القانون، وأقره الكونغرس الأمريكي في صيغته النهائية في 1995/5/16.

هكذا ينبغي فهم عنادهم وأحقادهم وضغائنهم.

حيثما انطلقت الجمهورية الإسلامية بحركة من شأنها المساعدة في بناء البلاد وإعمارها فإنهم يعرقلونها واستطاعوا إلى ذلك سبيلا، وقد عجزوا في كثير من الأحيان بفضل الله، فأثناء الحرب كنّا نصل إلى الكثير من المعدات التسليحية وغيرها من الأمور رغم إرادتهم، لكنهم أصبحوا سبباً في إثارة العراقيل والتخريب ما استطاعوا بدءاً من خط أنابيب الغاز, وانتهاءً بسائر الأمور التي حدثت, فعلى سبيل المثال في عهد الوزارات السابقة وقّع اليابانيون على عقد لمشروع إنشاء سد على نهر الكارون لكن هؤلاء ــ الأمريكيون ــ ألغوه، فلم يكترث لهم البعض حيث وواصلوا عملهم, لكننا مضينا قُدُماً وأنجزنا مهمّتنا، ولم يكفّ أولئك عن عنادهم وعدائهم, بل إنه سيستمر حتى يصلوا حدّ اليأس, وهذا لا يتعلّق بالخطة الخمسية الرابعة أو الخامسة, بل على امتداد الآفاق بالنسبة لكل تحرّك سياسي واقتصادي في البلاد، ولابدّ من أن تؤخذ هذه القضية بنظر الإعتبار، فلابدّ من أن نبلغ مستوى يشعر معه العدو بالعجز واليأس؛ إذ ذاك سيتوقف عداء العدو أو ينحسر، فالعدو سيواصل محاولاته وتوجيهه الضربات لنا مادام يعيش الأمل بالقدرة على استئصال النظام الإسلامي.

فيجب أن تتركّز همّتنا على ترصين البناء, بحيث يشعر العدو أنّ أي سهم يصوّبه إنما يرجع نحوه ويؤول إلى خسرانه, وأنّ أية رصاصة يرميها إنما ستطلق عليه.

منذ مجيء طلاب الحرب المتطرّفين الحاليين في الحكومة الأمريكية ــ وهؤلاء حقاً حفنة من طلاب الحرب يتمحور عملهم على الحرب والغزو العسكري ــ إلى سدّة الحكم، اتخذت التهديدات طابعاً ولغة أخرى، فماذا علينا أن نصنع في مواجهة هذا التحدّي؟ علينا أن نضاعف اقتدارنا ونقوم بدفاعنا القانوني والشرعي؛ وهذا ما يحكم به المنطق وتؤيده الشواهد والقرائن والبراهين سياسياً ودبلوماسياً.

والتماسك الداخلي لا يعني ما يتصورونه هم, بالحصول على سلاح معيّن، كما أشار السيد رئيس الجمهورية فإن السلاح النووي لا يفعل شيئاً، بالإضافة إلى أننا لا نوافق مبدئياً وأصولياً على أسلحة الدمار الشامل بشكلها هذا، فنحن في فترة الحرب قد حرّمنا الأسلحة الجرثومية والكيمياوية أيضاً وهذا ما أعلنته حكومتنا وقتذاك.

ويفرض هذا القانون عقوبات على الشركات الأجنبية التي تتعامل مع كل من ليبيا وإيران في مجال النفط والغاز وتزيد استثماراتها على أربعين مليون دولار في العام.

إذاً التماسك الداخلي له معنى آخر سأشير له لاحقاً.

بذل الجهود من أجل مضاعفة الاقتدار

بناءً على هذا يتعيّن علينا مضاعفة اقتدارنا, وإلاّ فإن أي تراجع في مقابل قوة متكبرة غاشمة سيكون من جانب واحد, وتشجيع على المزيد من العدوان والتجاوز؛ وهذا ما جربناه طوال سنوات عديدة وفي مجالات مختلفة، فحيثما وجدوا تراجعاً تقدّموا خطوة، ولم يقدموا شكرهم بأن يقولوا: إنّ هؤلاء منحونا امتيازاً فلنمنحهم امتيازاً.

فلا معنى لهذا الكلام لدى مواجهة القوة, فهذا لا يراود القوى المادية، فإذا ما شاهدوا خصمهم قد تراجع خطوة واحدة أو استحوذ عليه الرعب حينها يشعرون بوجوب مضاعفة الضغوط.

إنّ الشيء الوحيد الذي بمقدوره صيانة إيران والنظام الإسلامي هو التماسك الداخلي والعزيمة الراسخة على الدفاع المشروع والمنطقي، وقد جرى هذا الأمر على مدى السنوات الخمس والعشرين الماضية دون الاعتماد على الآخرين، فيما يتصوّر البعض أننا لو أردنا أن نقول: " لا " لأمريكا فعلينا أن نعتمد على أوروبا، فهل اعتمدنا على الاتحاد السوفيتي ــ وقد كان عدواً ومناوئاً لأمريكا ــ خلال فترة الحرب, حيث كنّا نواجه أمريكا، ولم يكن عداء الاتحاد السوفيتي السابق خلال فترة الحرب أقل من عداء أمريكا على الصعيد العملي.

لو عملنا أنا وأنتم بشروط التماسك الداخلي ــ فالشعب يعمل بها ــ لن يستطيع العدو توجيه ضربته.

إنّ العدو ليؤذي ويعقد الطريق ويفرض علينا تكاليف، فبلوغ الدرجات الرفيعة من العزة والتقدّم له ثمنه, وإنّ الحصول على العزة والرفعة له ضريبته، مثلما أنّ للذلّة ضريبتها، وهل الذلّة بلا ضريبة؟ لاحظوا الآن فإن الضابط الأمريكي يمسك بيد امرأة الضابط البعثي ويسحبها دون أن يجرأ هذا البعثي على التفوّه بشيء، فهل هنالك ذلّة أنكى من ذلك, حيث ذلّوا وهم يدفعون ضريبة الذلة أيضاً، وهذه هي نتيجة الجيش الذي لا يواجه العدو.

نعم, إنّ بلوغ العزة والرقي له ضريبته، ولا بدّ من دفع الضريبة ولا بد من العمل والمضي قُدُماً.

ما أشعر به هو أنّ الوعد الإلهي لنا مازال صادقاً, وعملياً على امتداد تجربتنا الشخصية والقصيرة المدى "إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين"[9] فحيثما تمسّكنا بالتقوى والصبر والثبات فإن الله تعالى لم يضيّع أجرنا، لكننا متى ما أبدينا انهزاماً تلقّينا صفعة ويحدث التزلزل، وهكذا الحال الآن.

وقد خاطب الله سبحانه وتعالى نبيه قائلاً: ﴿ فاستقم كما أمرت﴾[10] والإستقامة تعني: الثبات على الصراط المستقيم والإصرار وعدم الانعطاف، وعلى هذا المنوال يأتي علاج المشكلات التي نعاني منها، وعلينا أنا وأنتم أن نضع هذا الأمر في الحسبان.

لقد تعرّى اليوم الوجه القبيح للغطرسة الأمريكية أمام العالم؛ وهذا يعيننا أيضاً, حيث فقدت حقوق الإنسان والديمقراطية ونظير ذلك من الأقاويل والشعارات، رونقها في العالم بعد أن كشف هؤلاء عن وجههم الحقيقي من خلال ممارستهم في العراق وأفغانستان ونواياهم الشريرة، فلدى لقاء رئيس الوزراء الصهيوني بالرئيس الأمريكي خلال الأسبوع الماضي في أمريكا ــ وكما ورد في الأخبار ــ أهدى الرئيس الأمريكي خارطة إسرائيل الكبرى ــ من النيل إلى الفرات ــ لرئيس الوزراء الصهيوني! فماذا يعني هذا الفعل يا ترى؟ وأنّى للدول الإسلامية أن تحسن الظن بأقوال هؤلاء؟ وكيف لها أن تنتظر لأمريكا نظرة حكم في القضية الفلسطينية؟.

إنّ شعار " من النيل إلى الفرات " شعار عدواني غاشم توسّعي وباطل, أنكره حتى الصهاينة مؤخراً قائلين: إنه كلام زائف، لكن دعاة الحرب وطلابها الأمريكان يجاهرون بهذا الشعار! لقد تعرّى وجههم في العالم الإسلامي، هَبْ أنّ الزعماء في بلد إسلامي أو عربي معيّن لا يجرأون على الكلام فالشعوب تفهم وتسمع وهي التي ستقف بوجههم.

الخطة التنموية الرابعة

---

[9] سورة التوبة، الآية: 120.

[10] سورة هود, الآية: 112.

أما الخطة الخمسية الرابعة فهي على الأبواب، وتنظيم العمل يجري على غرار الخطة الثالثة, حيث اقترحت الحكومة الخطة علينا ونحن وافقنا عليها، فالحكومة ومن خلال أعمالها التخصصية تقدّم السياسات إلى القائد وهذه السياسات لا تمثّل القضايا البعيدة المدى, بل هي لخمسة أعوام، وقد تحظى سياسة بالأولوية خلال فترة السنوات الخمس؛ وهذا ما تقدّره الحكومة بحساباتها ودقّتها ومن ثم تقدّمها للقائد الذي يحيلها بدوره إلى مجمع تشخيص المصلحة؛ لغرض دراستها. هذا ما جرى في الخطة الخمسية الثالثة وسيجري هكذا في الخطة الرابعة إن شاء الله، والحكومة لم تعرض بعد علينا السياسات، وقد طلبنا بأن لا يجري إبلاغ أي شيء للمؤسسات بوصفه قاعدةً وإطاراً للعمل قبل إعلامنا بالسياسات والإعلان عنها؛ كي يصار إلى تأطير الخطة وتبويبها, ومن ثم تدوينها على أساس السياسات وطبقاً للدستور.

وكما تقدمت الإشارة لابدّ من تحديد مدة لهذه السياسة والخطة، وقد أشار إلى ذلك السيد رئيس الجمهورية وهي مسالة مهمة، فلقد قلنا في أواخر العام 1381 هـ.ش لمجمع تشخيص المصلحة: بأن يرسموا المدى ذا العشر سنوات, والذي سيتضمّن خطّتين خمسيتين؛ كي ننظم السياسات العامة على أساس هذا الأفق الذي يتمّ رسمه، وهذا الأفق هو الذي سيحدد رؤيتنا وطموحنا للبلاد خلال السنوات العشر المقبلة ليس على وجه الدقةّ بالطبع؛ لأن أحداث وأمور طارئة ستحصل نوعاً ما ــ لكنه يحدد بشكل تقريبي أين نقف وما هو موقفنا خلال السنوات العشر المقبلة، أي أنها تمثّل رؤية متوسطة المدى.

إنّ مسؤولي البلاد في السلطات الثلاث حاضرون هنا؛ لذلك فإنني أتطرّق لعوالم فيما يخص هذا الأفق وللسياسات العامة؛ كي تستقر في الأذهان.

الخطة في حقلها الاقتصادي

في الحقل الاقتصادي، الأمور التي نوليها أهمية هي الازدهار الاقتصادي والعمل وخفض التضخّم والاكتفاء الذاتي في المنتجات الزراعية الأساسية، أي تحقيق الاكتفاء الغذائي في البلاد.

هذه قضايا مهمة للغاية وأساسية, ويجب أن نبلغ هذه الأهداف بالمستوى المنشود خلال هذه الدورة، فيجب أن نقلّص التضخّم إلى مستوى الآحاد.

وإن كانت الأرقام تشير إلى ارتفاع كبير بالتضخّم في بعض البلدان التي ذكـــرت، بالرغم من التطور والتقدم الذي حققته, غير أنّ مستوى التضخّم مرتفع جداً فيهـــا, ولا يطاق أبداً وتصعب الحياة جداً فيها, ولا أريد التنويه إلى أسماء هذه البلدان.

الخطة في حلقها الاجتماعي

وعلى الصعيد الاجتماعي، ينبغي أن ترتبط التنمية بالشعب, ويجب أن يكون الشعب محور التنمية، وأن تكون العدالة من المعالم الأساسية، فالخطّة التـــي تغفـــل العدالـــة والتوزيع العادل للثروة في المجتمع لا يمكنها تحقيق الأفق الذي نصبو إليـــه, وهـــي ليست الخطّة التي ننشدها, وبما أنّ الأخوة في الإدارة والمختصّين في رســـم الخطـــط جالسون هنا, فإنني أقول: انتبهوا إلى أنه يجب مراعاة عنصـــر العدالـــة الاجتماعيـــة والاقتصادية والتوزيع العادل للثروة، ولا نقول: أن يكون للجميع دخلاً متساوياً ــ فهذا ليس موضع الحديث ــ لكننا لا يمكن أن نغضّ الطرف عن عنصر العدالة الذي يعـــد من أهم العناصر في نظام الجمهورية الإسلامية، فلا بد من مراعاته.

كما أنّ القضاء على الفقر وتوفير الأمن المدني والقضائي مهم جداً, ولا بد من أخذه بنظر الاعتبار، ولا بد من توفير الحرية في المجتمع بشكلها المنطقي والصحيح، تلـــك الحرية التي حملت لواءها الثورة الإسلامية والنظام الإســـلامي فـــي ربـــوع العـــالم الإسلامي، وليس الحرية بصورتها الإفراطية والمستوردة والمبتدعـــة، متـــى كانـــت الحرية مدار بحث في هذه المنطقة من العالم؟ نظام الجمهورية الإسلامية هـــو الـــذي حمل راية الحرية في العالم الإسلامي، ودوت شعاراته المتمثّلـــة بـــــ "الاســـتقلال" و "الحرية".

هنالك الكثير من الدول التي تتشدّق بالحرية وتردد شعارها لكن الحرية يتمّ نقضـــها بقسوة في الكثير من المرافق، وهكذا الحال في أوروبـــا وفـــي الولايـــات المتحـــدة الأمريكية.

فالحرية في أمريكا متوفّرة بالقدر الذي لا يضرّ بالمصالح المهمة للرأسماليين الذين يريدون النظام الأمريكي من خلف الكواليس فحيثما طالتهم أدنى خدشة، تُقمع الحريـــة بقسوة دون أن يأبهوا لأحد أو يتورّعوا، إننا نؤمن بالحرية وأنّ إيماننا بالحرية وتوفير حقوق المواطنة في القضايا الاجتماعية له جذوره وأسسه الدينية.

وفي الحقل الدبلوماسي إننا ننشد الكفاءة والتحرّك الدؤوب والهدفية, والحضور الفاعل في المواثيق والتكتلات والكيانات الإقليمية والدولية.

الخطة في جانبها العلمي والثقافي

وعلى الصعيد العلمي ــ يجب أن تحقق النهضة المعلوماتية وإنتاج العلم ــ الذي أثرناه وباستمرار منذ سنتين ــ وهذا ليس شعاراً، ولقد أخذتُ بمتابعة الأمر, وأوصيت بذلك ما أمكن من المراكز, غاية الأمر أنني لا أتصدّى للعمل التنفيذي، فعلى الأجهزة التنفيذية القيام بالعمل التنفيذي، وقد بدأ هذا العمل والحمد لله, ويجب أن تكون عملية إنتاج العلم جادّة إذ يجب أن نقوم بإنتاج العلم في كافة المجالات, سواء كانت العلوم الطبيعية أو العلوم الإنسانية، وينبغي أن يتحقق الترابط بين العلم والصناعة ــ وهذا ما أكّدتُ عليه مراراً ــ وهذا كله له آليته وشأنه وبالإمكان إدخاله ضمن الخطة.

وعلى الصعيد الثقافي يجب الاهتمام بتعزيز روح الإيمان، وقد تحدّث السيد رئيس الجمهورية عن أمور بنّاءة للغاية في مجال المجتمع الأخلاقي، ومنطقه صحيح وصائب تماماً، فيجب أنّ نعمل على تقوية روح الإيمان وعنصر التضحية والإيثار في أنفسنا بالدرجة الأولى, ومن ثم لدى الشعب؛ هذا ما يجب أن يضمّ إلى الخطة ويشاهد فيها، فالجانب المهم الذي شكّل اقتدارنا الوطني هي روح الإيمان التي برزت أثناء الحرب بصورة حب الشهادة، ولا بدّ من بروز قوة الإيثار والتضحية ــ التي تطيح بكل الموازنات ــ في الميدان الذي نواجهه, ومن المسلّم به أنه ميدان أكثر تعقيداً وصعوبة من ميدان الحرب، وإذا ما استطعنا تقويتها في نفوسنا فإن كافة موازين القوة في العالم ستميل لصالحنا.

ومن المهم أيضاً بيان الأصول القيمية وتعزيز الدستور، فالدستور كالأعمدة والمرتكزات التي يقوم عليها البناء، فإذا ما أردنا تشييد عمارة ضخمة وشاهقة فذلك يستلزم قواعد وأعمدة تعطي العمارة هيئة عامة. هذه القواعد والأعمدة هي ذاك الدستور.

إنّ القوانين العادية عبارة عن العمل الذي يجري داخل المبنى من قبيل التقسيمات, ومد الجدران وعمليات التجميل، والقيم بمثابة مواد البناء, وإنّ كافة الأعمدة التي تقام

والأعمال التي تجري داخل هذا المبنى ــ سواء في مجال الدستور أو القانون العادي ــ إنما قيمنا هي مواد بنائها, وهي تتألف وتتكون من قيمنا.

ونحن نمتلك هذا الدستور وهذا الإطار المتماسك، وقد بُذلت جهود واسعة خلال هذه السنوات الخمس وعشرين لتزيين هذا الصرح الشاهق والعملاق من الداخل, ونحن بمقدورنا أن نقدّم للعالم صرحاً متماسكاً قوياً، وإنّ كل محاولات العدو تتصبّ على الحيلولة دون تقديم مثل هذا النموذج؛ لذلك فهو يشنّ هجومه على الأعمدة والقواعد؛ كي يهدّمها.

إنّ القوانين العادية مرنة بطبيعة الحال, وليس من العقل والتدبير أن نهدم القواعد من أجل تغيير وسنّ قوانين عادية، فلا تخرب الأعمدة أبداً؛ لتغيير المظهر, ولا تخرب القواعد؛ لتبديل التقسيمات.

ولابدّ من المحافظة على القواعد متماسكة فقد تمّ إرساؤها جيداً.

انظروا إلى الدول التي تعترض على الجمهورية الإسلامية أحياناً فإنها حافظت على دستورها متماسكاً لمدة مئتي أو ثلاثمئة سنة، وهي تحافظ على قيم قديمة منذ مئتي أو ثلاثمئة سنة بل أكثر، وتمسّكها بقوة وبكلتا اليدين, ولا تسمح بالنيل منها.

لقد شاهدتم البيان الذي أصدرته مجموعة ممن يسمّون بمثقفي أمريكا في العام الماضي لتبرير شَرَهَ الرئيس الأمريكي وبطانته واستندوا فيها إلى القيم الأمريكية، هذه القيم هي قيم جورج واشنطن التي مرّت عليها مئتا عام.

وقد غدت القيم الأمريكية أصلاً بالنسبة لهم على أساسها تباح الدعوة للحرب واستخدام القنبلة النووية، وقبل أيام هدّد بوش قائلاً: سأضرب عدة بلدان بالقنبلة النووية! وهذا العمل يبرر ويعد مباحاً، هكذا يعتمدون على متحجرين! فتصبح الأصولية الأمريكية ايجابية، فيما تصبح الأصولية الإسلامية التي تعتمد المنطق والعقل والاستدلال والتجربة والتطلّع إلى التحرر واستقلال الشعب، أمراً مداناً وإساءة.

ومنذ مدة بدّلوا عبارة "الأصوليين" بـ "المحافظين" غافلين عن أنّ التيارات في بلادنا على اختلافها هي كلها أصولية، وربما يوجد هنالك بعض من المتطرّفين في كل زاوية, غير أنّ جلّ العناصر التي تملأ المؤسسات في بلادنا من الأصوليين, والجميع يعتقدون بهذا الأصل.

يجب أن تشاهد هذه الأصول وتراعى في إطار هذه المديات, فلقد بلغنا مرحلة من الاقتدار ويجب أن نحافظ على هذا البناء على أساس هذه الأصول ونمضي قُدُماً.

إنّ الخطة الرابعة ستنجز جانباً مهماً من العمل، وهنالك أمور إلى جانب الخطة الرابعة، لكن الخطة هي المهمة بما تمثّله من هدف مهم وأفق مهم، غير أنّ الطريق مهم أيضاً، فليس لنا أن نقول: لنصل هذا الهدف من أي طريق استطعنا.

كلا, فلابدّ من انتخاب الطريق أيضاً.

فهنالك طرق إذا ما سلكناها ــ كما يعبّر أحد الأعزاء ــ قد زرعوها بنقاط التفتيش والمواقع العسكرية, ولن يكفّوا ما لم يجرّدونا من السلاح، وعلينا أن لا نقبل تجريدنا من السلاح، فنسلك طريقاً لا يستدعي تجريدنا من سلاحنا الحقيقي، ولننتخب الطريق الصحيح.

الخطة ليست أمراً تقليدياً

إنّ للخطة خصوصيات لابدّ أن تتطابق مع الخصائص الجغرافية والتاريخية والثقافية للبلاد، فلا يصح تقليد خطط الدول الأخرى, فالخطة ليست أمراً تقليدياً، ومن الخطأ القول: إنّ البلد الفلاني نال التقدم عن هذا الطريق, إذاً فلنسلك الطريق نفسه، فليُحسب لإمكانيات البلاد وقدراتها, وقابلياتها ومن ثم يتمّ اختيار الطريق، وأن لا تكون الخطة اقتصادية محضة، بل لتوضع في الخطة: الثقافة والأمن والمعنويات والأخلاق أيضاً، ولا يجري التركيز على النمو الاقتصادي فقط، ويجب أن تكون في إطار السياسات العامة التي تمّت الإشارة إليها.

الأولويات التي مراعاتها عند تنفيذ الخطة

يجب أن يراعى في الخطة عدم الانصهار في الاقتصاد العالمي، وعليكم الانتباه إلى هذا الأمر، ولقد كررت مرّة أو مرّتين: بأن الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية أمر إيجابي في نظري, ولكن حينما تكون لدينا البنى التحتية لهذا العمل ونحن الآن لا نتوفّر عليها، وأنّ الدخول إلى منظمة التجارة العالمية الآن ــ ودون رصيد ــ إنما يعني الانصهار في اقتصاد أقوى دون أن نمتلك إمكانية المنافسة، بما يعني الضياع

والانغماس, أي تضييع الإنتاج الداخلي ــ الذي جرى تأمينه حتى يومنا هذا بـــالجهود والدماء ــ والقضاء عليه.

نعم، منظمة التجارة العالمية ساحة واسعة للنشاط, ولكن علينا أن نمتلك القدرة على السباحة، وقد قلت يوماً: إنّ هذا العمل كما لو أننا أرسلنا فريق كـــرة القـــدم لخـــوض مباريات كأس العالم دون أن يكون أعضاء هذا الفريق قد تدرّبوا أبداً، فتكون نتيجة هذا الفعل أن نخسر بعشرين هدف مثلاً، ثم نقفل راجعين.

فيجب أن نكون على استعداد, ولا نستعجل؛ فننضمّ بعد خمس أو عشر سنوات فليس هنالك تأخير، فلابدّ ــ أولاً ــ من تعزيز البنى التحتية للاقتصاد, بحيث نطمئن, ومـــن ثم ندخل الميدان براحة بال وبكل رغبة، فالقول: بالانصهار في الاقتصاد العالمي الآن سيكون بمثابة السم القاتل بالنسبة لاقتصادنا الوطني المستقل.

هنالك أمور أخرى إلى جانب الخطة الخمسية، فلا نفقد الثقة بالذات الوطنية، وإنّ ما قاله الإمام " إننا قادرون " عبارة مهمة جداً وغنية في معناها، فلنصدق بأننا قـــادرون، فلقد استطعتم العمل بالرغم من كل هذه الخصومات، وحتى لو لم تقوموا بعمل إيجابي واستطعتم فقط البقاء فإن هذا إبداع، وإنّ هذه الأعمال الإيجابية القيّمة التي تم إنجازها لدليل على أنكم قادرون ونحن قادرون، ولو أراد المرء التحدّث عن نماذج هذا الاقتدار فهي كثيرة جداً، وهم منزعجون؛ بسبب اقتدارنا هذا، وقد أعلنوا صـــراحة: بـــأنهم لا يطيقون رؤية الجمهورية الإسلامية وهي تكتسب التقنية الذرية العالية وما شابه ذلـــك، وللإنصاف فقد أُنجزت أعمال بنّاءة جداً في مختلف الحقول في البلاد ومنهـــا الحقـــل الزراعي وغيره.

بناءً على هذا لنحافظ على هذه الثقة بالنفس.

يجب المحافظة على الوحدة، وإنني أدعو لإيلاء الأهمية لقضية المحافظـــة علـــى الوحدة والتلاحم، فهذا واحد من المبادئ، وليس الشعب ــ طبعاً مخاطب بهذا الأمر ــ فالشعب متوحّد ولا اختلاف لديه ــ بل المخاطب هم النخب والسياسيون مـــن شـــتّى التيارات، فلا يقفوا بوجه بعضهم البعض بذرائع واهية واختلافات بسيطة, ولا يثيـــر بعضهم الضجيج على الآخر, من خلال تبريرات خاطئة.

يقول أحد الظرفاء من أصدقائنا: إنّ الجميع يؤمنون بمفهوم المؤالف والمخالف ــ الذي تحدّثهم عنه ــ لكن البعض بدلوا مكان المؤالف بالمخـــالف! فـــاعتبروا الـــذين

يشعرون بالمسؤولية إزاء النظام والثورة والإسلام، مؤالفين، والمخالفين هم الذين يناوؤن أصل النظام.

ومن المهام التي نحتاجها أيضاً، الإبداع والعمل الذي لا يعرف الكلل، ومهم أيضاً ضبط النفس، فإنكم تعرفون ما الذي حصل في معركة أحد، فلقد تحقق النصر، ومن ثم تحوّل هذا النصر إلى هزيمة وخسارة؛ لأن مجموعة لم يستطيعوا ضبط أنفسهم.

تقول الآية القرآنية:﴿ إنّ الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا﴾[11] فالذين لم يستطيعوا السيطرة على أنفسهم وزلّت أقدامهم في معركة أحد، إنما ورّطهم الشيطان بهذا الإبتلاء؛ بسبب الأعمال التي ارتكبوها ــ أو كما يقال ــ بسبب ما ملأوا مائدتهم من خبز، فبأنفسهم خلقوا المشاكل لهم، وهذه هي نتيجة عدم السيطرة على النفس، فعلينا بضبط أنفسنا، ونحن في المسؤوليات التي نتبوّأها يتعيّن علينا أن لا نتعلّق باللذائذ والشهوات وجمع الثروة، فمرحلتنا مرحلة عظيمة وإحدى المقاطع الحساسة جداً والبارزة في التاريخ، واعلموا أننا جميعاً سنتعرض لمجهر حكم الأمة على مدى مئات السنين المقبلة، فإنهم سيحكمون على أعمالنا وأفعالنا، فإذا ما أخطأنا وانزلقنا وتعلقنا باللذة والدعة والشهوة الدنيوية ــ وهذا سينتهي بضريبة باهضة بالنسبة للثورة ــ سيسجل ذلك في سجلنا على امتداد التاريخ، ومعلوم كما قلنا كم هو صعب أمام الله سبحانه وتعالى.

خدمة الشعب

الأمر الآخر: هو خدمة الشعب، وخدمة الشعب لها منطقها.

ونحن إنما جئنا بالأساس لخدمة الشعب، وإنّ الفلسفة من وجودنا هي خدمة الشعب، وقد ورد في الروايات أنّ الوالي والحاكم الإسلامي ــ والحاكم على مختلف المستويات من وزير ومحافظ وأعلى من ذلك وأدنى جميعهم مشمولون بهذا التعبير ــ يجب أن يكون للشعب كالأب الرؤوف مع أبنائه، فماذا سيحصل لكم إن بلغكم خبر معاناة ابنكم من مرض أو برد أو حر أو جوع أو احتقار أو إهانة أو غربة؟ هل تتحمّلون أن يحصل مثل هذا لأحد في ربوع البلاد؟ يجب أن تشعروا بهذا الشعور، ويجب أن لا

---

[11] سورة آل عمران، الآية: 155.

يقرُّ لنا قرار؛ وهذا ما تعنيه خدمة الشعب، ويجب أن نجعل هذه الخدمة ملموسة بالنسبة للشعب, وأن ندخل الأعمال الكبرى التي تمّ إنجازها إلى حياة الشعب؛ كي يلمسوا لذّتها، كما أنّ الانضباط المالي ومكافحة الفساد من المهام الضرورية أيضاً.

الأمر الآخر الذي أطرحه ــ وأعتذر للأصدقاء عن تأخيري لهم ساعة من الزمان ــ هو: قضية الانتخابات، فأمامنا انتخابات مجلس الشورى في دورته السابعة، فمن المتفق عليه أن تسبق الانتخابات جدالات في البلاد ذات طابع دعائي في أغلبها، وإنني أناشد كافة المسؤولون في السلطة القضائية, أن يسعوا للحفاظ على توازن المناخ السياسي في البلاد؛ كي يصل أبناء الشعب موعد الانتخابات في ظل أجواء متوازنة، فالشعب يعشق الانتخابات وإنّ ما يرعب الشعب بعض المظاهر التي تبعث على الاشمئزاز, التي يشاهدونها في أوساطنا، فيجب أن تكون الأجواء متوازنة ومنطقية وعقلانية.

فلا ضير في الحوار النقدي ولكن هنالك فرق بين الحوار وبين الضجيج.

وثمة فرق بين الحوار في ظل حاكمية الشعب الإسلامية وبين العربدة والشعارات في ظل بعض الديمقراطيات، فهنا يتحاورون كالمباحثة الطلابية ــ كما يعبّر الإمام ــ فليتباحثوا في المجلس وغيره من الأماكن، بل ليتشاجروا حول قضية ما، ولكن لا أن يحقد بعضهم على البعض، بل ليجلس بعضهم إلى بعض فيما بعد ويتحادثوا، ولا يسمحوا للاختلاف في وجهات النظر أن يصل إلى نزاع، فهذا النزاع سيؤدّي إلى الفشل وضعف القوى.

إنّ الكذب والامتهان واتّهام بعض الأجهزة لبعضها, وإثارة الإشاعات والافتراء على المنافس, وإثارة العصبيات على اختلافها لا ينسجم أي منها مع الانتخابات الإسلامية.

إنّ هذا الخطاب موجّه إلى كافة التيارات, وليس موجّه إلى أناس أو تيار معيّن، وإنّ هذه هي مسؤوليتنا, فيتعيّن على كافة التيارات الالتزام بهذه الأمور، وليتحرك الجميع في إطار الدستور، فلا مجلس الشورى ولا مجلس صيانة الدستور ولا مجلس تشخيص المصلحة ولا رئيس الجمهورية ولا القائد يحق لهم تجاوز إطار الدستور، فحيثما منح القانون صلاحيات لفرد أو مجموعة فعليهم العمل في ضوئها.

إنّ العدو يستهويه الاختلاف بيننا كما حصل في العام 1359ـــ. ش 1980م فالانقسام الذي أحدثه ذلك الرئيس الهارب المطرود[12] داخل النظام عام 1359هـ.ش قد استهوى العدو حيث قالوا: لقد وقع الاختلاف وأطاح كل منهم بالآخر, ففرح العدو وهجم علينا، وقد تلقّى العدو ــ بطبيعة الحال ــ صفعة لكنه ألحق بنا الخسائر أيضاً, واستُهلكت ثماني سنوات من وقتنا بالحرب، فلا تسمحوا للعدو بأن تستهويه الاختلافات التي تكون ظاهرية في بعض الأحيان فيوجّه ضربته لنا.

أللهم اجعل ما قلناه وما سمعناه لك وفي سبيلك، واجعلنا ــ لاسيّما أنا العبد الحقير ــ ممن يستمع ويقبل ما تلفظ به لساني من مواعظ.

أللهم إنّا نقسم عليك بمحمد وآل محمد أن تمنّ بمزيد العزة على الإسلام والمسلمين وعلى بلدنا بالرفعة والازدهار والاقتدار.

أللهم بحق محمد وآل محمد افتح علينا سبيل التكامل والهداية، واهدنا وأعنّا على المسير باتجاه قمم الكمال التي ننشدها في ظل النظام الإسلامي.

أللهم ارض عنا القلب المقدس للإمام ولي العصر أرواحنا فداه واجعل أعمالنا مرضية لديك، واجعل مستقبلنا أفضل من ماضينا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

[12] بني صدر.